ومنها الماسة المعروفة باسة الرجنت في جواهر فرنسا الملكيَّة وجدت في مناجم كمتنا ببلاد الهند ايضاً فاشتراها المستر بت حاكم مدراس سنة ١٧٠٢ بنحو عشرين الف جنيه واتى بها الى لندن وقطعها وباعها لدوق اورليان الذي كان وصيًّا على الملك لويس الخامس عشر بمئة وثلاثين الف جنيه وقد قدِّر ثمنها بعد ذلك باربع مئة وثمانين الف جنيه وهي المرسومة فوق الحرف د . ويقال انها اجمل ماسة في اوربا وثقلها ١٣٦ قيراطاً وثلاثة ارباع القيراط وكان ثقلها قبل قطعها ٤١٠ قراريط

ووجدت ماسة في مناجم افريقية سنة ١٨٨٦ بلغ وزنها بعد قطعها وصقلها مئتي قيراط فهي اكبر الفرائد المعروفة الى ذلك الحين ثم وجدت ماسة اخرى فيها سنة اواخر سنة ١٨٩٥ ثقلها ٦٥٥ قيراطاً . واهدى رئيس جمهورية الترنسفال الى قداسة البابا ماسة ثقلها ٩٧١ قيراطاً وهي اكبر ماسة وجدت الى هذا العهد لكنَّ فيها نكتةً سوداء تحطُّ من قيمتها

وسيأتي الكلام في الجزء التالي على كيفيَّة قطع الماس وصقله وكيفيَّة تولده في الطبيعة وفي الصناعة

فكتوريا

ملكة الانكليز وامبراطورة الهند

(٩) حياتها السياسيَّة

لانجد بين الالوف الذين سادوا الممالك وقاموا بمهام الملك الاَّ قليلاً من النساء كأن المرأة لم تولد لتسود بل لتساد ولو كانت سيدة في بيتها. لكن النساء القليلات اللواتي أُدليت الاحكام اليهنَّ كزينوبيا ملكة تدمر وكاترينا ملكة الروس واليصابات ملكة الانكليز قبضنَ عَلَى ازمتها بايدٍ من حديد وسسنَ ممالكهنَّ بالحكمة والسداد. والملكة فكتوريا اظهرتْ حكماً واوفرهنَّ حكمةً باجماع كل الذين انتقدوا اعمال الملوك . وسرُّ نجاحها في حكمها جريها على ارادة شعبها ووزرائها فانها تترك شعبها ليختار لهُ النواب الذين يريدهم فتسلِّم مقاليد الاحكام

لزعيم الحزب الاكبر من هؤلاء الذواب ولا تقف عند هذا الحد ولا تكف عن الاهتمام بشؤون المملكة بل تساعد وزراءها في اعمالهم كأنها تصبُّ عليها زيتاً وبلسماً حتى يقلَّ الاحتكاك بين مصالح العباد ويصحب كل سهم نافذ برهم يداوي الجراح ويزيل الآلام . فتاريخها السياسي هو تاريخ وزرائها الذين ولتهم الاحكام من حين تربعت في سرير الملك الى الآن وسنقتصر على ذكر اشهرهم

الاول لورد ملبرن

لما دُعيت الملكة فكتوريا من المدرسة الى سرير الملك كان لورد ملبرن رئيساً للوزراء فجعل غرضهُ الاول اطلاعها على اسرار السياسة واساليبها فنجح في ذلك نجاحاً تاماً لانهُ كان ينظر اليها نظر الوالد الى ولدهِ فاعتبرتهُ والدًا رؤوفاً وصديقاً حميماً لكن تعليمهُ لها لم يقتصر على شرح اساليب السياسة وغوامضها بل تناول تعويدها الصفح والتغاضي عن الذين يسيئون اليها . وكان هو اول مسيء في امر الراتب الذي عيّن لزوجها وفي امر تقدُّمهِ على غيرهِ في الاحتفالات الرسمية . فانهُ جعل الراتب اولاً خمسين الف جنيه في السنة ولكنهُ لم يذاكر زعماء المحافظين فيهِ قبل ان عرضهُ على المجلس كما هو الواجب عليهِ فعارضوهُ فيهِ لما عرضهُ وجعلوهُ ثلاثين الف جنيه فقط . ثم جعل منزلة زوجها بعدها تاماً ولم يذاكر زعماء الاشراف قبل ان عرض عليهم هذا الامر فاغضوا عنهُ وبقي البرنس كاحد العامة ولا يخفى ما في ذلك من الاهانة للملكة والغض من كرامة زوجها لكنها تحملتهُ بالصبر الجميل واغضت عنهُ اغضاء الكرام ولم ينقص اعتبار لورد ملبرن في عينيها لعلمها ان الاساءة غير مقصودة وان الحسنات يذهبن السيئات

وكان لورد ملبرن شيخاً واسع الرواية عارفاً باساليب السياسة واخبار الايام قوي الحافظة يستحضر ما يشاء من الاخبار والاشعار فيرويها على صحتها . وكان السر

روبرت پيل نده في السياسة يقول ان ليس للملكة سبيل افضل من اتباع مشورة لورد ملبرن في كل ما يشور به عليها . وكذلك دوق ولنتن زعيم حزب المحافظين في مجلس الاعيان قال جهاراً في ذلك المجلس ان لورد ملبرن قد خدم الملكة اعظم خدمة ممكنة باطلاعها على اساليب السياسة وتدريبها على الحكومة الدستورية وتعليمها كيف تسوس شعبها بموجبها .

وكان خالها ملك البلجيك ومشيره البارون ستكار يبذلان الجهد في تدريبها على الجري بموجب مطالب الحكومة الدستورية وترفعها عن الاحزاب السياسية حتى لا تنقاد الى حزب من حزبي بلادها فتغضب الحزب الآخر وتصح زعيمة حزب لا ملكة البلاد كلها بل تبقى فوق الحزبين وتراعي مصالحهما على حدّ سوى . ولو كان لورد ملبرن قليل الولاء لمولاته او مفضلاً مصلحة حزبه على مصلحتها لسهل عليه ان يقودها الى حزبه ويجعلها منه لكنه لم يفعل ذلك ولا تركها تنقاد الى حزبه من تلقاء نفسها بل قاوم ميلها الطبيعي وعلّمها ان تكون ملكة على البلاد كلها لا ان تكون رئيسة حزب من حزبيها

ولما سقطت وزارة ملبرن حزنت على فراقه ثم لما فارق الحياة الدنيا سنة ١٨٤٨ لم يحزن عليه احد قدر ما حزنت بعد ان بذلت هي وزوجها جهدهما ليسرّاه ويحليا مرارة حياته في السنين الاخيرة من عمره . وكتبت في يوميتها تقول " اني اندب الآن فقد الصديق الصادق والخل الوفي الذي كان يودّني ويسعى في مصلحتي بكل جهده عن اخلاص تام وحب صادق الذي كان صديقي الوحيد تقريباً في السنتين الاوليين من ملكي "

وحدثت حوادث سياسية ذات شأن مدة وزارته فثار اهالي كندا ونهض محمّد علي باشا في مصر على الدولة العلية فاتفقت انكلترا والنمسا مع تركيا على

اخراج ابرهيم باشا من سورية واخذت بيروت وهدمت حصون عكاء وردّت العمارة التركيّة الى الدولة العليّة . وكادت تنشب الحرب بين انكلترا وفرنسا بسبب ذلك لان فرنسا كانت عازمة على مظاهرة محمد علي باشا لكي يكون لها الشأن الاعلى في مصر فتنضم عمارة مصر الى عمارتها في البحر المتوسط وتصير قادرة على مقاومة انكلترا فأحبطت مساعي فرنسا بالمحالفة التي عقدت في ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ بين انكلترا والنمسا وبروسيا وروسيا وتركيا لحماية القطر المصري وكان تيرس وزيرًا افرنسا فدهش لما سمع بهذه المحالفة واخذ منهُ الغيظ كل مأخذ وعزم الفرنسويون على محاربة الانكليز لو لم يصرفهم ملك البلجيك عن ذلك وكان قد اقترن بابنة الملك لويس فيلب ملك فرنسا. ونشبت الحرب بين انكلترا والصين بسبب تجارة الافيون وعقد الصلح سنة ١٨٤٢ على ان تدفع الصين ٢١ مليون ريال وتتنازل لانكلترا عن هنغ كنغ

وولد لورد ملبرن سنة ١٧٧٩ وتوفي سنة ١٨٤٨

وقد نشرنا في صدر هذا الجزء صورة الملكة منذ ستين سنة وصورتها وصور وزرائها كلهم من لورد ملبرن الى اللورد سلسبري

السر روبرت بيل

تولى الوزارة سنة ١٨٤١ بحكم الشعب لان اكثريّة النواب كانت من المحافظين فاضطرت الملكة ان تسند الوزارة الى زعيمهم وكان قد طلب منها ان تبدل نساء بلاطها بغيرهنّ على ما تقدم فساءها ذلك جدًّا ثم كرّر الاساءة اليها بطلبهِ تخفيض المال الذي قطع لزوجها اكنّ لورد ملبرن علّمها مدة وزارته ان اول واجب عليها الخضوع لمطالب الامة فلم تر بدًّا من اسناد الوزارة الى السر روبرت بيل حينما فاز حزبهُ في الانتخابات العموميّة فاخذت الختوم من

الوزراء المعزولين وسلمتها لهُ وللوزراء الذين اختارهم معهُ ولم تكن قد فعلت ذلك قبلاً فعلت وجهها حمرة الخجل لكنها ملكت نفسها واظهرت الحزم الشديد ورأست مجلس الوزراء بعزيمة صادقة. واضطرب السر روبرت بيل في امرهِ اكثر منها ج ماهو مشهور عنهُ من الحمة والاقدام لانهُ شعر من نفسهِ انهُ كان السبب في الاساءة اليها لكنهُ لم يرَ منها الاَّ كل دعة ولطف فسكن جأشهُ ولاسيما لما رآها تكلمهُ كما كانت تكلم وزيرها السابق كأنها صفحت عما مضى وقصرت نظرها على مصلحة البلاد . ولما اعتزل الوزارة بعد خمس سنوات كتبت الى خالها ملك البلجيك تقول " لقد كان امس يوماً عبوساً اذ اضطررت ان افارق السر روبرت بيل ولورد ابردين وفراقهما خسارة لا مثيل لها علينا وعلى البلاد فانهما كانا صديقين مخلصين وكنَّا في اشد الامن والاطمئنان معهما. وفي كل هذه السنوات الخمس التي تولينا فيها الوزارة لم يشيرا بشيء الاَّ وفيهِ المصلحة لي ولبلادي "

وفي مدة وزارتهِ قهرت الحامية الانكليزية في مدينة كابول واوقع الافغان بها وهي عائدة وكان فيها ٤٥٠٠ من الجنود و ١٢ الفاً من القديديين فلم يسلم منهم سوى رجل واحد تُرك حيًّا ليبلغ حامية جلال اباد ما حلَّ برفاقهِ . لكن الانكليز اخذوا بثار اخوانهم وفتحوا كابول عنوة

وتوفي السر روبرت بيل سنة ١٨٥٠ فحزنت الملكة عليهِ حزناً شديداً . وقالت " انهُ كان صديقنا الاصدق ومشيرنا الاحكم " . وكأنها تتكلم بصيغة الجمع لان زوجها كان قد صار شريكاً لها في الملك

اللورد جون رسل

لما سقطت وزارة السر روبرت بيل استدعت الملكة اللورد جون رسل وطلبت منهُ ان يشكل وزارة جديدة ففشل في اول الامر وعاد بيل الى الوزارة

ثم اضطرّ الى الاستعفاء ثانيةً فشكل اللورد رسل وزارة سنة ١٨٤٦ واضطرّ ان يستعفي سنة ١٨٥٢ كما سيجيء وتلاهُ لورد دربي ولورد ابردين واخذ نظارة الخارجيّة في وزارة لورد ابردين وعاد اليها في وزارة بامرستون الثانية . ثم عاد الى الوزارة بعد موت بامرستون سنة ١٨٦٥ ولم يقم فيها طويلاً واوقع المملكة في اضطراب شديد مدة وزارتهِ فاغتاظت الملكة منهُ لكنها صفحت عنهُ حالاً ولما توفي سنة ١٨٧٨ كتبت الى زوجتهِ تقول اني أسيفة على صديقي الذي اخلص لي الولاء اربعين سنة وزيري الاول والاشهر الذي لا انسى لطفهُ لي في اوقات الشدّة والضيق

وهذا شأنها مع كل وزرائها فانها تنظر الى الكبير منهم نظر الابنة الى ابيها والى الصغير نظر الاخت الى اخيها والى الجميع نظر الصديق الى صديقهِ

لورد بامرستون

لما استعفى السر روبرت بيل وسلمت الملكة مقاليد الوزارة للورد جون رسل جعل اللورد بامرستون وزيرًا للخارجيّة وكان بامرستون شديد العزيمة في السياسة الخارجيّة يقتحم مخاطرها غير هيّاب فلقّب بالشعلة النارية ولما اعترض على سياستهِ في مجلس النواب دافع عنها بخطبة طويلة دامت خمس ساعات ففاز على خصومهِ

ولما اراد لويس نبوليون الارتقاء الى عرش عمهِ نبوليون الاول كتبت الملكة الى وزيرها اللورد جون رسل تقول انها استغربت جدًّا الحوادث التي حدثت في باريس واهتمت بها اشد الاهتمام ولكنها تحسب انهُ يجب ان يخبر سفيرها في باريس لكي يبقى على الحياد ولا يشترك في ما هو جارٍ فيها بوجه من الوجوه لان كل كلمة يقولها يمكن ان تفسر على غير مرادهِ . ولا يخفى ان رأي الملكة هذا

ن الصواب لكن بامرستون لم يعمل به بل سبق فاخبر سفير فرانسا في انكلترا انهُ تحسن لما فعلهُ لويس نبوليون ولم يستشر اللورد جون رسل ولا الملكة . فاشار عليهِ ورد رسل ان يستعفي من منصبهِ فاستعفى ثم اعترض على وزارة اللورد رسل فاسقطها لت بعدها وزارة لورد درربي فلم يشترك فيها مع ان لورد درربي عرض عليهِ احد حبها ثم سقطت وزارة لورد درربي واتت بعدها وزارة ارل ابردين سنة ١٨٥٢ مل فيها وزيرًا للداخلية وسقطت هذه الوزارة سنة ١٨٥٤ فسلمت الملكة مقاليدها رد بامرستون وكان حينئذٍ في الحادية والسبعين من عمرهِ وكانت نار حرب رم مستعرة فاذكى نارها الى ان انقضت باخذ سباستوبول وعقد الصلح

وحدثت في مدة وزارتهِ الحرب الاهليَّة في اميركا والحرب بين فرنسا والنمسا بين النمسا وبروسيا والدنمارك وتوفي سنة ١٨٦٥

وقد يظن لاول وهلة ان الحوادث تحدث والملكة غافلة عنها لعلها ان راءها يديرون دفة السياسة على ما يرام . والواقع على الضد من ذلك لانها اقب سياسة بلادها وسياسة البلدان الاخرى بعين ساهرة وتشارك وزراءها في رائهم واذا اصروا على عمل شيء مخالف لارادتها جاريتهم فيهِ ولو رغمًا عنها لانها ان ذلك واجبٌ عليها لا مفرَّ لها منهُ ما دامت حكومة بلادها دستوريَّة

ومما يذكر لها مشفوعًا بشكر شعبها انها تشاركهم دائمًا في السراء والضراء فلما تدَّت الفاقة عليهم سنة ١٨٤٧ بجعل الفلال حثَّت اهالي البر على جمع الصدقات حتاجين وتصدَّقت عليهم بجانب كبير من مالها الخاص وامرت ان لا يستعمل قيق الجيد في قصرها واقتدى بها عظماء المملكة فحرموا انفسهم الملاذ لكي عموا الفقراء

وعقبت سني الشدَّة سنو الرخاء وكانت الجنود الانكليزيَّة تلاقي الاهوال في

بلاد الهند فاستتبّ النصر لها اخيرًا وتغلبت على مملكة بنجاب وضمتها الى السلطنة الهندية

وخافت انكلترا ان يقفو نبوليون الثالث خطوات عمهِ نبوليون الاول اما هو فأكّد لاورپا ان السلم غرضهُ الذي يرمي اليهِ فاعترفت بهِ انكلترا وبروسيا والنمسا ثم روسيا. وعلم ان ملوك اورپا لا يرغبون في مصاهرتهِ فاختار لهُ زوجة اميرة اسبانية وزار معها انكلترا فرحّبت بهما الملكة والشعب الانكليزي واقامت لهُ ليلة راقصة في غرفة ووترلو وكتبت الى خالها تقول "من اغرب ما حدث الآن اني انا حفيدة جورج الثالث رقصت مع الامبراطور نبوليون ابن اخ عدو انكلترا الالد في غرفة ووترلو وهو الآن حليفي الاقرب"

وردّت لهُ الزيارة في پاريس مع زوجها وولي عهدها فرحب بهم الفرنسويين اعظم ترحيب وزارت قبر نبوليون الاول متكئة على ذراع نبوليون الثالث، وكتبت في هذا الصدد تقول "انها وقفت امام قبر عدو انكلترا الالد وارغن الكنيسة يضرب سلامها وكأن هذه الزيارة وتقديم هذا الاكرام لرفات العدو الميت محيا العداوة القديمة"

وكان قيصر الروس نقولا الاول قد كاشف وزراء انكلترا بغرضهِ في تركيا واشار عليهم ان يأخذوا مصر وكريت ويتركوهُ وشأنهُ. ثم حدث خلاف في اورشليم بين الارثوذكس واللاتين نشبت بسببهِ الحرب بين روسيا والدولة العلية فبذلت انكلترا جهدها لمنع هذه الحرب ولما رأت انها لم تفلح اتحدت مع فرنسا لمعاونة الدولة العلية على الروس فألّفت الحرب اوزارها وتوفي القيصر نقولا الاول في ٢ مارس «اذار» سنة ١٨٥٥ وخلفهُ ابنهُ اسكندر الثاني فسار في خطة ابيهِ. واهتمت الملكة فكتوريا في غضون هذه الحرب بصحة جنودها ومؤاساة جراحهم وكانت تصنع الاحرمة بيديها وترسل بها الى الجنود فاقتدى بها نساء الملكة في

ذا العمل المبرور . ولما بلغها ما حلّ بالجنود من الشدة والضنك كتبت الى قائدهم ول لا يمكنك ان تتصوّر مقدار ألمنا وشدتهُ من جرّاء ذلك . وعادت الجرحى ذين اعيدوا الى بلادهم فلم تسرّ برؤية المستشفى الذي كانوا فيهِ لضيق غرفهِ علو كواهُ فطابت من وزير الحربيّة ان يبني غيرهُ

ورأت في زيارة اخرى احد الجرحى وكانت يدهُ اليمنى قد قطعت في الحرب سألتهُ عمّا اذا كان يشعر بألم . فقال نعم اني اشعر بألم ههنا واراد ان يضع يدهُ سليمة على قلبهِ فدلت على كتفهِ . فنظرت الى الطبيب وقالت سمعت ان لانسان قد يفقد عضوًا من اعضائهِ فيشعر بألم في مكان آخر ولكنني لم اتحقق لك قبلاً . فقال الجندي كلاّ يا مولاتي بل لما كانت ذراعي سليمة كنت احارب ا في خدمتك ولو كان لي خمسون ذراعًا لوقفتها كلها لك ولبلادي اما الآن فقد ذراعي يؤلم فؤادي . ففهمت الملكة مرادهُ وشكرتهُ شكرًا جزيلاً

وسنة ١٨٥٧ اقدت نار الثورة في بلاد الهند وكانت تحت سلطة شركة ند الشرقيّة فاشارت الملكة بارسال المدد الى الجنود التي فيها حالاً وصوّبت رأي قائلين بزيادة الجنود الانكليزيّة في تلك البلاد واشارت بان يُرسل المدد فيالق كاملة لا فصائل متفرقة لكي يبقى القواد مع جنودهم الذين عرفوهم وان يزاد عدد لجنود في البلاد الانكليزيّة الى الحد الذي سمح بهِ البارلمنت بدل الجنود التي رسل الى الهند خوفًا من امرٍ يأتي فجأةً . فاجابها لورد بامرستون انهُ تلقّى اشارتها وعلم ا فيها مما كانت تقولهُ لو كانت في مجلس النواب . وقال ان الذين يخالفونها ي ذلك يشكرون الله لانها ليست في ذلك المجلس والاّ لقوا منها خصمًا عنيدًا ري الحجة سديد البرهان اما الذين يوافقونها فيرون فيها اعظم نصير لهم لو كانت مجلس النواب . اما من حيث ما تستدعيهِ احوال الهند الحاضرة فقال ان وزارتهُ

لا تألو جهداً عن عمل ما تقتضيهِ الاحوال ولكن لابدَّ من ان يكون ذلك رويداً رويداً. فلم ترتضِ الملكة بهذا الجواب ولا بهذه السياسة سياسة الامهال والتسويف فكتبت اليهِ تقول "انها تريد ان يرسخ في نفوس وزرائها انهُ لابدَّ من الاهتمام حالاً بمركز انكلترا الحربي بنوع عام والجري على خطة تكفل راحتها في المستقبل بدلاً من الجري على مقتضى الحال ومداواة الحاضر بالحاضر. والاسلوب الذي تحسب ان لابدَّ من اتباعهِ هو ان يرسل الى بلاد الهند كل الجنود التي تحتاج اليهم ثم يعوَّض عنهم حالاً بجنود اخرى تجمع بدلاً منهم وذلك لا يكلف الخزينة شيئاً بل يرفع عنها بعض الكلفة الحاضرة لان شركة الهند الشرقية تدفع كل نفقات الجنود التي ترسل اليها فالنفقات التي كانت الخزينة تدفعها لهم تدفعها للجنود التي تجمع بدلاً منهم وترد الضباط الذين تدفع لهم معاشات الآن الى الخدمة فتقتصد الخزينة المعاشات التي كانت تدفعها لهم. وان قيل ان جمع الجنود ليس بالامر السهل قلت امتحنوا ذلك قبل ان تحكموا فيهِ وان قيل ان شركة الهند لا ترغب في استخدام الجنود الانكليزية قلت يجب ان تجبر على ذلك". فعملت الحكومة برأي الملكة ونجحت واخمدت الثورة في بلاد الهند ولكن بعد عناء شديد وسفك دماء كثيرة وانتقلت سلطنة الهند الوسيعة من يد شركة الهند الى يد الدولة الانكليزية وكان ذلك سنة ١٨٥٩

وتوفي اللورد بامرستون في الثامن عشر من اكتوبر سنة ١٨٦٥ وهو في الحادية والثمانين من عمرهِ ودفن في وستمنستر مدفن عظماء الانكليز وكان اشهر وزراء عصرهِ محبوباً في بلادهِ مرهوباً في سائر البلدان وبقيت فيهِ همة الشباب الى حين وفاتهِ

وسيأتي الكلام على باقي الوزراء في الجزء التالي